

شعر المقاومة الفلسطينية: قصيدة «عاشق من فلسطين» لمحمود درويش نموذجاً

دكتورة. هنيئ

أستاذة، جامعة ملانج، إندونيسيا

المخلص

مفهوم شعر المقاومة تغير مظهره وتعددت أساليبه من أشكال الغزو العسكري والاحتلال المباشر إلى الاستعمار الجديد والغزو الفكري والعولمة والحروب الافتراضية. لقد اتسع مفهوم المقاومة بدخوله في أمداء المقاومة الفسيحة، وبدا مفهومه لصيقاً بمفاهيم الصمود والتضامن والشجاعة والوعي الذاتي والدفاع عن الحقوق المشروعة وسواها إلى جانب قيم البطولة والمقاومة المسلحة، وتبدو ملامح هذا الفهم في بعض الدراسات الراهنة عن شعر المقاومة. يهدف هذا البحث إلى اكتشاف جوانب المقاومة في قصيدة "عاشق من فلسطين". يبيث استخدمت الباحثة المنهج الكيفي والنظرية الأدبية النقدية لما بعد الاستعمار Post-colonialism . أصبحت نظرية ما بعد الاستعمار تسمية لنظرية في الدراسات الثقافية والنقد الأدبي، وهي في مجملها لا تنظر إلى الخطاب بوصفه مهمة تاريخية، ولكن بوصفه مهمة سياسية. قصيدة عاشق من فلسطين تشتمل على المحبة والمقاومة والهوية. يستخدم الشاعر رمز الطبيعة أكثر لوصف العشق والمحبة للوطن والحرية وتقوية الهوية ومقاومة الاستعمار.

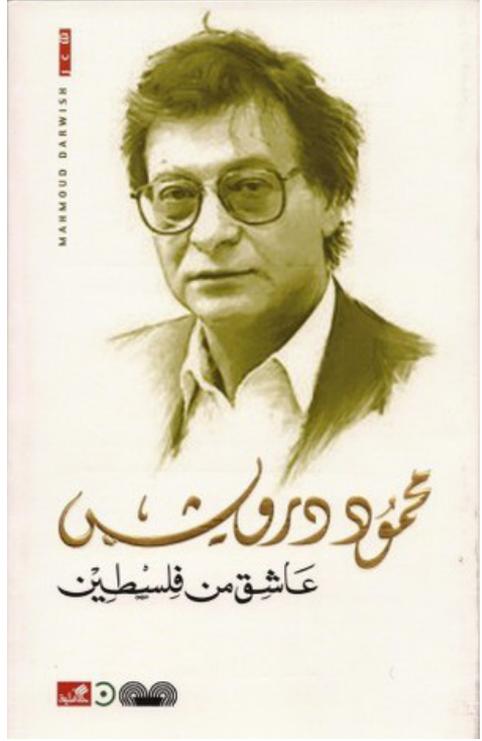
الكلمات الرئيسية: المقاومة، حب الوطن، الاستعمار، الشعر، ما بعد الحداثة

المقدمة

إن الأدب الصادق مرآة للمجتمع (مسنوات، ٢٠١٢)، فالأدب انعكاس للواقع، ولطالما كان الأدب مرآة تعكس حال المجتمع من كافة النواحي اجتماعية واقتصادية وسياسية. فهناك علاقة وثيقة بين الأدب والمجتمع (محمود، ٢٠١٨؛ محمد، ٢٠١٦). لأن الأديب يعيش في مجتمعه، ثم يكتب عما يخطر بباله وعما يحدث في مجتمعه. وفي أول وهلة كانت المقاومة والمنفى في الأدب العربي تنبثق من وجود الحرب والاستعمار. فالأديب خرج

من وطنه إجبارا وابتعد عنه قسرا. ليكتب بعد مغادرته عملا أدبيا معبرا عنه من أعماق قلبه، وبكل جوارحه.

إن المقاومة عملية رفض للظلم والاحتلال. ولقد عرف حقل الدراسات الأدبية مصطلح «الأدب المقاوم» في النصف الثاني من القرن العشرين، ولعله بدأ ينتشر في ستينيات القرن ذاته، فهناك مصطلحات، «شعر المقاومة» و «شاعر المقاومة»، وأدب المقاومة»، وهكذا. فحضور هذا العمل الأدبي المقاوم في أول وهلهما لا تحلو من الأحداث الاجتماعية لأن الأدب ما هو إلا انعكاس للواقع. فالأدب الصادق مرآة للمجتمع من كافة النواحي إجتماعية واقتصادية وسياسية.



وبسبب الاستعمار والحروب والاحتلال خرج درويش إجبارا وابتعد عنه قسرا وسكن في المنفى ثم كتب مستخدما الألفاظ ذات الدلالات الواضحة، مصرحا في أعماله الأدبية عن العديد من الأحداث الواقعية، كما اهتم بالإشارة و الرمز، معتمدا على الموسيقى الشعرية المؤثرة التي تزيد الحنين إلى البلد والمجتمع بكل ذكرياته الجميلة. فهناك علاقة وثيقة بين الأدب والمجتمع. لأن الأديب يعيش في المجتمع، ثم يكتب عما يحدث فيه.

والتعريف الأشمل للمقاومة يشمل المقاومة النفسية والسياسية والاقتصادية، فالمقاومة رد فعل الهيمنة والاستبداد من جهة، ودفاع الكائن عن مجاله الحيوي الإنساني من جهة أخرى، وفهم أدب المقاومة إلى وقت قريب بأنه شعر البطولة، والبطولة في اللغة هي الغلبة على الأقران، فالبطولة لا تقتصر على الطوابع القتالية والعسكرية والحربية، بل تمتد إلى قوة النفس و صفاء الروح وعمق الإيمان، وهو فهم عريق في حياة العرب منذ القدم، وعندما جاء الاسلام أخذ شعر المقاومة بعدا جديدا، فالشاعر لا يقاتل عن أحساب وأنساب ولا عن قوت ومال بل هو يقاتل عن عقيدة اقتنع وآمن بها فيضحي بنفسه في سبيلها.

وفي عصرنا الحديث، نجد شعرَ المقاومة، من الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري ومحمود سامي البارودي وشاعر اليمن الشهيد محمد محمود الزبيري، ومحمود درويش. وظهر مفهوم المقاومة الثقافية بتعزيز قوي الذات الداخلية على أساس تعضيد الوعي بالتاريخ والانغمار بالوجدان الوطني وتصليب عزيمة النضال من أجل الوجود الحر والكريم والمستقل وتداولت في هذا الشأن مفاهيم الحروب الثقافية والحروب الاقتصادية والحروب الإعلامية والحروب النفسية وأمثالها. وأدب المقاومة لا يقتصر على الأدب الشعبي أو الأدب الوطني، لأن المقاومة أرحب من أن تنحصر في هذه الدائرة المغلقة. لأدب المقاومة أربعة أبعاد، وهي الاجتماعي والوطني والقومي والإنساني.

يعدّ ما بعد الاستعمار أو ما بعد الكولونيالية Postcolonialism من أهم النظريات الأدبية والنقدية ذات الطابع الثقافي والسياسي؛ لكونها تربط الخطاب بالمشاكل السياسية الحقيقية في العالم.

خطاب ما بعد الاستعمار هو خطاب نقدي ينحو إلى تفكيك الخطاب الاستعماري، وإلى إعادة النظر في تاريخ آداب المستعمرات التي واجهت الاستعمار الأوروبي. فإذا كان من شأن الخطاب الاستعماري جعل المناطق المستعمرة خلفية لمسرح تجري عليه أفضع أنواع الممارسات اللاأخلاقية من سلب وقتل واقتلاع، فإن الهدف الأول لخطاب ما بعد الاستعمار بجهوده الكبيرة هو إعادة كتابة تاريخ الحضارة الاستعمارية من وجهة نظر من استعمروا. هكذا أصبحت نظرية ما بعد الاستعمار تسمية لنظرية في الدراسات الثقافية والنقد الأدبي، وهي في مجملها لا تنظر إلى الخطاب بوصفه مهمة تاريخية، ولكن بوصفه مهمة سياسية؛ وهكذا نكون أمام منهج لا تتوقف فيه القيمة الأدبية على جماليات النص فقط، وإنما تصبح مرتبطة بعوامل كثيرة من أهمها العامل السياسي. ومن ثمّ فإن هذه الدراسة تحاول للإشارة إلى هذه النظرية وتجلياتها المختلفة وخطابها في الفكر العربي والنقد العربي.

الشاعر المنفى محمود درويش

محمود درويش شاعر الأرض المحتلة. ولد محمود درويش في ١٣/٣/١٩٤١ في قرية البروة الفلسطينية التي تقع في الجليل شرق ساحل عكا، طرد من البروة مع أسرته في السادسة من عمره تحت دوي القنابل عام ١٩٤٧، ووجد نفسه مع عشرات آلاف اللاجئين الفلسطينيين في جنوب لبنان، بعد أن تعرض الشعب الفلسطيني للاقتلاع

وتدمير مدنه وقراه. عائلة درويش قريتها مهدومة وقد أقيمت على أراضيها موشاف (قرية زراعية إسرائيلية) "أحمود"، وكيبوتس يسعور-. فالعودة إلى مكان الولادة لم تتحقق. وكانت الصفة في القانون الإسرائيلي: "الحاضرون- الغائبون"، أي هم حاضرون جسدياً ولكن بلا أوراق. صودرت الأراضي وعاشوا لاجئين». إن حالته في الغربة صعبة فهو يفتقر للمواساة حيث لا يوجد أحد معه يحس بما يمر به من معاناة وحنين للوطن.

انضم محمود درويش إلى الحزب الشيوعي في إسرائيل، وبعد إنهاء تعليمه الثانوي، كانت حياته عبارة عن كتابة للشعر والمقالات في الجرائد مثل "الاتحاد" والمجلات مثل "الجديد" التي أصبح فيما بعد مشرفاً على تحريرها. حتى عام ١٩٧٢ حيث نزع إلى مصر وانتقل بعدها إلى لبنان حيث عمل في مؤسسات النشر والدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وقد استقال محمود درويش من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير احتجاجاً على اتفاق أوسلو.

شغل منصب رئيس رابطة الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وحرر في مجلة الكرمل، وأقام في باريس قبل عودته إلى وطنه حيث أنه دخل إلى إسرائيل بتصريح لزيارة أمه، وفي فترة وجوده هناك قدم بعض أعضاء الكنيست الإسرائيلي العرب والمهود اقتراحاً بالسماح له بالبقاء في وطنه، وقد سمح له بذلك.

محمود درويش (١٩٤١-٢٠٠٨) شاعر مشهور ليس فقط عند فلسطين وإنما كذلك معروف في العالم. وهذا لا ينفصل من قصائده التي تحث على حب الوطن ومقاومة الاستعمار.

والمراحل الانتقالية لشعر محمود درويش ثلاثة وهي المرحلة الرومانسية: كانت متمثلة في مرحلة الستينيات (كقصيدة عاشق من فلسطين)، والمرحلة الإنسانية: كانت متمثلة في مرحلة السبعينيات، والمرحلة الوجودية والفلسفية: كانت قد بدأت من الثمانينيات وحتى نهايته.

محمود درويش شاعر منفى. فالمنفى هو المكان الذي يذهب إليه شخص ما، بعد إجباره على الخروج من وطنه، ويظل فيه فترة زمنية طويلة، وقد تستمر إلى مدى الحياة، وشعر المنفى، نوع من أنواع الشعر الذي يعتمد على مجموعة من الصور الأدبية المرتبطة بحياة الشاعر، خصوصاً عند وجوده في بلد ليس وطنه، فيكتب العديد من القصائد الشعرية التي يشير فيها إلى الذكريات التي عاشها في وطنه، وإلى منزله، وعائلته،

وأصدقائه، وأي ذكرياتٍ أخرى تعبر عنه، كما أنه يذكر في المقابلة تأثره الشديد بالغبرة التي يعيشها في البلد الذي يوجد فيها.

والمنفى ينقسم إلى المنفى الداخلي والمنفى الخارجي ولكن المسافة بينهما لم تكن مرئية تماماً. المنفى الداخلي هو غربة المرء عن مجتمعه وثقافته، وتأمل عميق في الذات، بسبب اختلاف منظوره عن العالم وعن معنى وجوده عن منظور الآخرين، لذلك يشعر بأنه مختلف وغريب، وهنا، لا تكون للمنفى حدود مكانية. إنه مقيم في الذات المحرومة من حريتها الشخصية في التفكير والتعبير، بسبب إكراه السلطة السياسية أو سلطة التقاليد. يحدث هذا في المكان المضاد، تعريفاً للمنفى. يحدث هذا داخل الوطن (الغد: ٢٠١١).

والمنفى الخارجي هو انفصال المرء عن فضاء مرجعي، عن مكانه الأول وعن جغرافيته العاطفية. إنه انقطاع حاد في السيرة، وشرخ عميق في الإيقاع. يحمل المنفى كل عناصر تكوينه: الطفولة، والمشاهد الطبيعية، الذاكرة، الذكريات، مرجعيات اللغة، دفاعاً عن خصوصيته وهويته، ويأخذ التعبير عن حنينه إلى الوطن شكل الصلاة للمقدس. وهو يرى أن أرضه البعيدة هي الصلبة، وأن أرض الآخرين غريبة ورخوة.

والمنفى الفلسطيني، في هذا السياق، ليس نفيًا من مكان فردوسي إلى مكان أقل نعيمًا، لكنه قذف بالشخص إلى خارج المكان، أي إلى ما يعرف بالشتات، وأن كان الشتات نفيًا فإنه في الحقيقة يتفوق على النفي العادي والمؤقت من حيث كونه نفيًا أبدياً، لا يمكن للمرء أن ينال فيه الاعتراف من قبل سكان المكان الذي يرغب العيش فيه إلا بوصفه طارئاً وغريباً أو مؤقتاً أو عابراً، يستحيل عليه أن يصير دائماً وطبيعياً، وصاحب مكان وعنوان يدلان عليه، وعلى ما أبدعت يديه وشعر به قلبه (مصلح مصلح، ٢٠١٩).

يتميّز شعر المنفى بمجموعة من الخصائص، وهي:

- الحنين إلى الماضي، فكتب الشاعر أبيات شعرية أثناء وجوده في وطنه، ويظهر ذلك في الأمنيات التي يطلب فيها أن تعود تلك الأحداث، وتحدث في الوقت الحاضر.
- استخدام العديد من الأحداث الواقعية، أي أن يقوم الشاعر بربط قصيدته بحدث، أو قصة صارت معه في السابق، وما زال يذكرها بكافة تفاصيلها.
- استخدام الألفاظ ذات الدلالات الواضحة، بمعنى أن يشير إلى الأشخاص، أو

الأشياء، أو الأماكن باستخدام مسمياتها الأصلية، مثل: الإشارة إلى مدينته، أو الحي الذي سكن فيه، أو إلى اسم المدرسة التي درس بها في طفولته.

• الاهتمام بالإشارة إلى الرموز، أي أن يربط الشاعر قصيدته برمزية الأشياء الماضية، مثل: تذكيره لشجرة زيتون كانت موجودة في منزله، وكيف كان يقطف ثمارها في موسم الحصاد.

• الاعتماد على موسيقا شعرية مؤثرة، بمعنى أن يستخدم الشاعر ألفاظاً، ومصطلحات تؤثر على نفوس ومشاعر القراء، والأشخاص الذين يسمعون الشاعر وهو يلقي القصيدة، وتجعلهم يشعرون بإحساسٍ مشابهٍ لإحساسه (موضوع.كوم).

شعر المقاومة

إن المقاومة هي عملية رفض الظلم والاحتلال. لقد عرف حقل الدراسات الأدبية مصطلح «الأدب المقاوم» في النصف الثاني من القرن العشرين، ولعله بدأ ينتشر في الستينيات من القرن ذاته، فهناك مصطلحات، مثل «شعر المقاومة» و«شاعر المقاومة»، وأدب المقاومة»،

غسان كنفاني الذي أصدر كتابين درس فيهما الأدب العربي في فلسطين، أولهما "أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨-١٩٦٦" (١٩٦٦)، وعنوان ثانيهما "الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال ١٩٤٨-١٩٦٨" (١٩٦٨).

التعريف الأشمل للمقاومة الذي اتسع ليشمل المقاومة النفسية والسياسية والاقتصادية، فقد غدت المقاومة رد فعل الهيمنة والاستبداد من جهة، ودفاع الكائن عن مجاله الحيوي الإنساني من جهة أخرى، وفهم أدب المقاومة إلى وقت قريب بأنه شعر البطولة، والبطولة في اللغة هي الغلبة على الأقران، فالبطولة لا تقتصر على الطوابع القتالية والعسكرية والحربية، بل تمتد إلى قوة النفس وصفاء الروح وعمق الإيمان بالعزيمة على صون الوجود الذاتي العام والخاص، وهو فهم عريق في حياة العرب منذ القدم، وكما قال شوقي ضيف "ولكثير من أبطال الجاهلية دواوين تمتلئ بضجيجهم وبيان ما أنزلوا بأعدائهم من الموت الساحق الذي لا يبقي ولا يذر، كما تمتلئ بمثلهم النفسية والخلقية التي كانوا يحرصون عليها حرصهم على أرواحهم مزدربين الصغائر والشهوات في سبيل مطامع النفس الكريمة التي تعرض عن النقائص، وتمتنع عليها.

وعندما جاء الاسلام أخذ شعر المقاومة بعدا جديدا، فالشاعر لا يقاتل عن أحساب وأنساب ولا عن قوت ومال بل هو يقاتل عن عقيدة اقتنع وآمن بها فيضحي بنفسه في سبيلها ويجرد سيفه وقلمه من أجل نصرتها، فشعراء النبي صلى الله عليه وسلم – كعب بن زهير وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم، فلا يألون جهدا في نصره حملة العقيدة الجديدة ومحاربة أعدائها، وخير من يمثل شعراء المقاومة في تلك الفترة الشاعر عبد الله بن رواحة الذي استشهد في غزوة مؤتة وهو يقاتل الروم ويستنهض المسلمين للقتال فضرب بذلك أروع مثل لشاعر المقاومة الحقيقي.

ويرى غالي شكري أن لأدب المقاومة وجهه الإنساني العام فهناك الجانب الإيجابي الهام في هذا اللون من ألوان الأدب وهو أنه من عوامل "التجمع" لا من عوامل "الفرقة"، وحين ينظر في الأدب العربي في القرن العشرين فإنه يعد أعمال توفيق الحكيم، ومنها "عودة الروح.. واستعان النقاد على هذا الفهم بتجارب المقاومة العالمية، فقد استشهد غالي شكري في كتابه "أدب المقاومة" على سبيل المثال بالمقاومة الفرنسية والأسبانية والفيتنامية. وظهرت خلال عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين كتب عديدة غربت فيها نماذج من شعر تلك التجارب وأدبها، وعد الشعر "فن القمامة بمعناها الوطني" ونادرا ما يتخذ أبعادا إنسانية شاملة، وقليل ما يركز على أبعاد اجتماعية واضحة، ولكنه دوما هو رسول الدفاع عن الأرض وإنسانها، لذلك كانت صورة البطولة في شعر المقاومة أقرب ما تكون إلى السيرة الذاتية للشاعر متمثلا أعمق خصائص الفرد وأشمل جوهريات الوطن.

وحين يكتب شكري عن أبعاد أدب المقاومة يكتب عن أبعاد ثلاثة هي البعد الاجتماعي والبعد الإنساني والبعد القومي، متبعا خطأ غسان كنفاني في كتابه الثاني، حيث أشار الأخير إلى أربعة أبعاد، هي الاجتماعي والوطني والقومي والإنساني. مفهوم شكري لمصطلح أدب المقاومة ، إنه يرى أن أدب المقاومة لا يقتصر على الأدب الشعبي أو الأدب الوطني ، لأن المقاومة أرحب من أن تنحصر في هذه الدائرة المغلقة أو تلك.

إن أدب المقاومة العربي في الأرض المحتلة يقدم لتواريخ الأدب المقاوم في العالم نموذجا متقدما في الحقيقة وعلامة جديدة نادرا ما استطاعت آداب المقاومة المعروفة في العصور الحديثة أن تحقق ما يوازيها في المستوى مقارنة بمهامها الصعبة وشديدة التعقيد وظروفه التي لا تشابه بين ما لدينا من الأمثلة المعاصرة إلا ظروف المواطنين السود تحت حكم دولة جنوب إفريقيا العنصرية، بل تفوقها قسوة ووحشية أدب

المقاومة.

ويرى غسان كنفاني أن شهدت الثمانينيات والتسعينيات في القرن الماضي تطورا واضحا في مفهوم شعر المقاومة بالنظر إلى عظم تحديات الهيمنية الاستعمارية وتغير مظاهرها وأساليبها من أشكال الغزو العسكري والاحتلال المباشر إلى الاستعمار الجديد والاستعباد والتبعية والغزو الفكري والتطبيع والعملة والحرب الافتراضية. وظهر مفهوم المقاومة الثقافية بتعزيز قوي الذات الداخلية على أساس تعضيد الوعي بالتاريخ والانغمار بالوجدان الوطني وتصليب عزيمة النضال من أجل الوجود الحر والكرام والمستقل دفعا لمعضلاته الكثيرة الناجمة عن العدوان الداخلي المتواطئ أو الخادم للعدوان الخارجي أحيانا، وصون الهوية القومية بابتعاث عناصر الذات العربية الراسخة، ونشير إلى العناية بالمقاومة الثقافية في خضم المتغيرات الدولية المتسارعة والعاصفة لدى مضاعفات الهيمنة الإمبريالية وتصاعدها إلى استتباع المعمورة برمتها، وتداولت في هذا الشأن مفاهيم الحرب الثقافية والحرب الاقتصادية والحرب الإعلامية والحرب النفسية وأمثالها. لقد اتسع مفهوم المقاومة بدخوله في أمداء المقاومة الفسيحة، وبدأت لصيقا بمفاهيم الصمود والتضامن والشجاعة والوعي الذاتي والدفاع عن الحقوق المشروعة وسواها إلى جانب قيم البطولة والمقاومة المسلحة، وتبدو ملامح من هذا الفهم في بعض الدراسات الراهنة عن شعر المقاومة.

أدونيس الشاعر الأديب الناقد تحدث عن قضية أدب المقاومة في كتابه "زمن الشعر" وينظر أدونيس إلى الشعر العربي في الأرض المحتلة على أنه رافد صغير في الشعر العربي المعاصر، بل رافد ثانوي، وهو امتداد لا بداية: امتداد لشعر التحرر الوطني الذي عرفه العرب طيلة النصف الماضي من القرن العشرين، وهو ليس شعرا ثوريا.

ولا يرى أدونيس في شعر المقاومة شعرا ثوريا، إنه شعر محافظ، منطقي ومباشر، مشبع بروح المبالغة، يحاول أن يصنع الثورة بوسائل غير ثورية، قد اعتنى النقاد بأدب المقاومة الذي له علاقة بالقضية الفلسطينية والأدباء والشعراء الفلسطينيين. وفي الواقع الصراع الفكري والديني والوطني والثقافي ما يعالجه الأدب العربي هو أدب المقاومة والأدب المقاوم. لا ينحصر هذا الأدب في دولة وفي منطقة، بل له أبعاد مختلفة ومجال واسع، ونجد التداخل لهذا الأدب في أجناس الأدب أيضا - الأدب الوطني والسياسي والإحتجاجي وغير ذلك. وتطور هذا الأدب في جميع البلدان العربية وأدبائها وشعرائها لا حصر لها، وتحتاج دراسة هذا الأدب إلى دراسة موضوعية موسوعية، ونشأ هذا الأدب كذلك خارج الوطن العربي

في الهند والبلدان الأخرى.

فالمقاومة رد فعل الهيمنة والاستبداد من جهة، ودفاع الكائن عن مجاله الحيوي الإنساني من جهة أخرى، والتعريف الأشمل للمقاومة يشمل المقاومة النفسية والسياسية والاقتصادية، وفهم شعر المقاومة شعراً البطولة، فالبطولة لا تقتصر على الطوابع القتالية والعسكرية والحربية، بل تمتد إلى قوة النفس وصفاء الروح وعمق الإيمان، وهو فهم عريق في حياة العرب منذ القدم، وعندما جاء الإسلام فالشاعر لا يقاتل عن أحساب وأنساب ولا عن قوت ومال بل هو يقاتل عن عقيدة اقتنع وأمن بها فيضحي بنفسه في سبيلها.

في عصرنا الحديث، كان أدب المقاومة لا يقتصر على الأدب الشعبي أو الأدب الوطني وإنما لها أربعة أبعاد، وهي الاجتماعي والوطني والقومي والإنساني. ومفهوم شعر المقاومة تغير مظاهرها وأساليبها من أشكال الغزو العسكري والاحتلال المباشر إلى الاستعمار الجديد والاستعباد والغزو الفكري والعولمة والحروب الافتراضية. وظهرت مفاهيم الحروب الثقافية والحروب الاقتصادية والحروب الإعلامية والحروب النفسية وأمثالها.

لقد اتسع مفهوم المقاومة إلى الصراع الفكري والديني والوطني والثقافي. ولا ينحصر هذا الأدب في دولة وفي منطقة ما، بل له أبعاد مختلفة ومجال واسع، ونجد التداخل لهذا الأدب في أجناس الأدب أيضاً - الأدب الوطني والسياسي والإحتجاجي وغير ذلك. تطور هذا الأدب في جميع البلدان العربية، وخارج الوطن العربي. إن المقاومة عملية رفض الظلم والاحتلال في جميع مجال الحياة.

قد اعتنى النقاد بأدب المقاومة الذي له علاقة بالقضية الفلسطينية والأدباء والشعراء الفلسطينيين. وفي الواقع الصراع الفكري والديني والوطني والثقافي ما يعالجه الأدب العربي هو أدب المقاومة والأدب المقاوم. لا ينحصر هذا الأدب في دولة وفي منطقة، بل له أبعاد مختلفة ومجال واسع) إقبال الندي، ٢٠١٨)، ونجد التداخل لهذا الأدب في أجناس الأدب أيضاً - الأدب الوطني والسياسي والإحتجاجي وغير ذلك.

المقاومة في قصيدة عاشق من فلسطين

نشرت قصيدة عاشق من فلسطين سنة ١٩٦٦. وفي قصيدة عاشق من فلسطين، يشجع الشاعر القراء لحب الوطن، وخاصة الشعب الفلسطيني. يستخدم محمود

درويش الضمير المخاطب حتى يشعر القارئ بأنه فاعل الحدث. تتأثر القصيدة مشاعر القراء بكلمات الشاعر التي تمس وتطرق الروح فتزداد قوة الشغف بحب الوطن والرغبة في التحرر من الغزاة. إن دراسة مقاومة الاستعمار في هذه القصيدة هي محاولة لتطبيق دراسات ما بعد الاستعمار بمنظور ما بعد البنيوي وما بعد الحداثة بحيث لا توجد قواعد محددة ومعيارية في إيجاد المعنى.

فقد دخل محمود درويش سجون إسرائيل أكثر من مرة بسبب شعره العنيف، وقد أدركت السلطات الإسرائيلية خطورة هذا الشعر الذي يحمل عبارات تذكى روح الحماس في نفوس المواطنين.

كان محمود درويش مزج الحب بموضوع الوطن. يتحدث الشاعر المتلقي بانتقال من عالم الحب إلى عالم الشعر السياسي الثوري، وهو تجسد كل ما مر على فلسطين من مشاعر المحبة والمقاومة والهوية. فالمحبة في قصيدة «عاشق من فلسطين» هي الوطن، أرض فلسطين. وأي عشق يسمو فوق عشق الوطن. من حيث المستوى التركيبي، استخدم الشاعر الأفعال الثلاثة: الماضي والمضارع والأمر. واستعمل الشاعر الجملة الإسمية والفعلية. الجملة الاسمية لأجل الثبوت والسكون لأجل الدوام والاستمرار، والجملة الفعلية تفيد التجديد في الومن معين، ولتعكس حالته النفسية حيث تدفقت لغته بتدفق مشاعره.

وذكر الشاعر اسم فلسطينية عدة مرات ليبدل على أهمية هذا الوطن عند قلبه ولدلالة على عظمة حبه للوطن المحتل. واستخدم الشاعر الأدوات للربط والحروف وظروف الأماكن والأزمان التي لها علاقة قوية لأجل تماسك البنية ووحدتها.

المثال:

رأيتك في خوابي الماء والقمح
محطمة رأيتك في مقاهي الليل خادمة
رأيتك في شعاع الدمع والجرح.
.....
رأيتك في المواقد.. في الشوارع..
في الزرائب.. في دم الشمس

رأيتك في أغاني اليتيم والبؤس
رأيتك ملء ملح البحر والرمل
واستخدم درويش ضمائر المخاطب والغائب. المثال:
وأنت الرثة الأخرى بصدري..
أنت أنت الصوت في شفتي..
وأنت الماء، أنت النار
.....
وأنت حديقتي العذراء..
.....
وأنت وفية كالقمح..
.....
وأنت كنخلة في الببال،

ومزج الشاعر الأسلوب الخبري والإنشائي حسب الحالة النفسية. فهناك الخبر الابتدائي (عيونك شوكة في القلب توجعني... وأعبدها) والطلبى (ما انكسرت لعاصفة وخطاب وما جزت صفائرها وحوش البيد والغاب) والانكاري (باسمك، صحت بالأعداء، رأيتك أمس في الميناء مسافرة بلا أهل... بلا زاد). وهناك الأساليب الإنشائية من الاستفهام (لماذا تسحب البيارة الخضراء إلى سجن، إلى منفى، إلى ميناء)، والتقديم والتأخير (رأيتك في خوابي الماء والقمح محطة رأيتك في مقاهي الليل خادمة).

المصادر والمراجع

١. أبو خضرة، سعيد جبر محمد؛ تطور الدلالات اللغوية في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات ٢٦٦١، والنشر، الأردن، ط ١
٢. بن صالح، نوال؛ جماليات المفارقة في الشعر العربي المعاصر دراسة نقدية في تجربة محمود درويش. ٢٦١، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، ط
٣. ١٥٥٠، - الشعر العربي الحديث-الشعر المعاصر، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط
٤. ١٥٥٦، - الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، دار توبقال للنشر، المغرب، ط ١
٥. بواجلابن، الحسن؛ بلاغة الانزياح في شعر محمود درويش، قراءة نسقية، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٦١٤.
٦. بيطنون، حيدر توفيق؛ محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٥٥١
٧. تروش، حسين؛ مفهوم الشعر وتجلياته الموضوعاتية عند محمود درويش، مركز الكتاب الأكاديمي، ط ١. عمان، ٢٦١